بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله تعالى : هذا تفسير (سورة يس)

قال الله تعالى : إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم * إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيءٍ أحصيناه في إمام مبين

يقول الله تعالى إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غلا ، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ، ولهذا قال تعالى : فهم مقمحون والمقمح هو الرافع رأسه ، كما قالت أم زرع في كلامها : وأَشْرَّبُ فأتَقمح . أي أشرب فأروى وأرفع رأسي تهنيئا وترويا .

واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين وإن كانتا مرادتين ، كما قال الشاعر :

فما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يلينـي

أألخيـر الذي أنا أبتغيـه أم الشـر الذي لا يأتليني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه ، وهكذا هذا لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين . قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون

قال : هو كقوله عز وجل : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير . وقال مجاهد : ﴿ فهم مقمحون ﴾ قال : رافعي رءوسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير .

الشرح :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أسأل الله جل وعلا لي ولكم النور في القلب ، وأسأله رحمة يهدي بها قلوبنا ويشرح بها صدورنا ، ويشفي بها مرض أفئدتنا ، إنه ولي ذلك وهو أجود الأجودين .

ثم إن هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون** ﴾ هي في ذكر حالهم مع القدر ، وذلك أنهم ـ كما ذكر ابن كثير فيما سمعتم ـ أن نسبة فعلهم إلى ما يراد منهم كما يفعل الغُل والغِل ، كما يفعل الغُل الذي يُجعل في العنق وتحشر معه اليدان ، كما يفعل بصاحبه فهو لا يستطيع حراكا ، فهي في المعنى كقوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ ولهذا قال بعدها : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ .

وقوله هنا : ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا** ﴾ الأغلال : جمع غُل بالضم ، وهي حديدة توضع للمعذب في عنقه ، وتُجمع يداه مع عنقه فيكون مغلولا اليدان على العنق ، ثم هناك حيدة تحيط باليدين مع العنق وتكون اليدان رافعة للرأس ، هكذا ، هذا صورة ما ذُكر في الآية ، وهذه صورة المقمح فإنه مرفوع الرأس ومطأطئ البصر . والأغلال ـ كما ذكر ـ جمع غل ، والغل هو تلك الحديدة ، والحديدة

....

تكون جامعة لليدين مع العنق ، وهذا كما قال تعالى في آية سورة الإسراء : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها**

كل البسط وهذا هو الذي أشار إليه ابن عباس فيما ذكر ابن كثير من رواية العوفي عنه ، حيث قال : إنها كقوله **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً** .

وإذا كان كذلك فلما حُذف ذكر اليدين ؟ قال : لأن هذا أسلوب معروف من أساليب العرب فإنها قد تحذف أحد الشيئين المتلازمين لدلالة أحدهما على الآخر ، كما قال الشاعر :

فما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي لا يأتليني

فقوله هنا : أريد الخير ، يعني : أريد الخير والشر ، باعتبار عدم علمه بالعاقبة ، أريد الخير : يعني أطلب الخير ولا أدري قد أطلب الشر ، فصل هذه الجملة بقوله :

أألخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي لا يأتليني

هذا كقوله أيضاً في سورة النحل : **سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم** قال العلماء : سرابيل تقيكم الحر : يعني والبرد أيضاً . إن الشيئين المتلازمين قد يحذف أحدهما في لغة العرب لدلالة الآخر عليه رغبة في الاختصار .

إذاً في قوله تعالى هنا : **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا** يعني الأعناق مع اليدين ، قال : **فهي إلى الأذقان** يعني أن الغل الذي وضع في أعناقهم وصل إلى أذقانهم إلى هنا ، ومعنى ذلك أنه غطى الرقبة تامة وأخذ شيئا من الحلق حتى وصل إلى الذقن ، وهذا غاية ما يمكن بمعنى أنه صار غلا محكما من أسفل العنق إلى أن وصل إلى الذقن .

قال هنا : **فهم مقمحون** وهذه بيان لحال ، قال : **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون** وقوله مقمحون جمع المقمح ، والمقمح :
....
.

هو من رفع رأسه وطأطأ عينيه ، فأصل القمح في لغة العرب رفع الرأس مع طأطأة العينين ، رفع الرأس حتى أعلى ما يكون وطأطأة العينين . ولذلك سمي الحب الذي هو البر سمي في أحد أسمائه بالقمح لأنهم كانوا يأكلونه على هذا النحو ، يأكلون البر برفع الرؤوس هكذا فيوضع في الفم فسمي قمحاً لذلك .

إذاً قوله : **فهم مقمحون** يعني رافعي رؤوسهم وأعينهم منخفضة متطأطأة من الذل ـ نسأل الله جل وعلا العفو والعافية .
وقوله هنا : **إنا جعلنا** الجعل في القرآن أتى ـ يعني المضاف إلى الله جل وعلا ـ أتى على نوعين :
جعل شرعي ديني ، وهذا معناه أنه مطلوب تحقيقه، مطلوب من العباد أن يأتوا به .
والقسم الثاني : جعل كوني قدري ، مثل ما تسمعون في الإرادة أنها تنقسم إلى إرادة كونية قدرية وإلى إرادة شرعية دينية ، كذلك الجعل ينقسم إلى هذين القسمين ، في ألفاظ في القرآن تبلغ اثني عشر لفظا تنقسم إلى كوني قدري وإلى ديني شرعي . فمن الكوني القدري ما يكون بمعنى الخلق ويكون بمعنى القدر .
هنا : **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا** يعني من باب القدر، هذا جعل قدري فهم كهيئة هذا مع القدر ، هم كهيئة من جُعل في عنقه غلا مع يديه فأصبح مقمحاً بالنظر إلى قدر الله جل وعلا،
وأما الجعل الشرعي فله أمثلة كثيرة ومنها قوله تعالى : **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام**
فالجعل هنا شرعي ، يعني أنه مطلوب من الناس أن يجعلوا الكعبة قياما للناس ، يعني أمنا وأمانا لمن أتى إليها . سيأتي إيضاحها لارتباطها بالآية التي بعدها .
(جعلنا) إذا نظرت إليها من جهة القدر فهي معناها قدرنا ، وإذا نظرت إليها من جهة أن هذا واقع يعني الذي ذُكر في الآية واقع صار بمعنى صيرنا ، ولكن التصيير غالبا يتعدى إلى مفعولين يعني صير الشيء شيئا (جعلنا أغلالا) ما هو

المجعول ؟ جعلنا أغلالا : بمعنى خلقنا أو قدرنا في أعناقهم أغلالا ، فالجعل هنا كوني قدري ، أما المصير بمعنى التصيير فهي التي تتعدى إلى مفعولين **إنا جعلناه قرآنا عربيا** جعلناه قرآنا : يعني صيرناه قرآنا ، فالجعل إذا تعدى إلى مفعول واحد انقسم القسمة التي ذكرت لك : قسمة قدرية كونية وشرعية دينية ، وإذا تعدى إلى مفعولين صار بمعنى صيرنا .

وقوله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ﴾ .
قال مجاهد عن الحق ﴿ ومن خلفهم سدا ﴾ قال مجاهد عن الحق : فهم يترددون ، وقال قتادة في الضلالات : وقوله تعالى : ﴿ فأغشيناهم ﴾ أي أغشينا أبصارهم عن الحق ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه .
قال ابن جرير رحمه الله تعالى : وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقرأ ﴿ فأعشيناهم ﴾ بالعين المهملة من العشا وهو داء في العين . وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم : جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه ، وقرأ ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ، ثم قال : من منعه الله تعالى لا يستطيع .
وقال عكرمة قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن ، فأنزلت
﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ﴾ إلى قوله : ﴿ فهم

لا يبصرون ، قال وكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو أين هو ؟ لا يبصره . رواه ابن جرير .

الشرح :

هنا في قوله : **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** أولاً هذا فيه ذكر ما وقع لهم من جهة القدر ، قدر الله جل وعلا عليهم وهذا السد لم يكن عليهم ابتداءً ، وكذلك جعل الأغلال في أعناقهم هذا لم يكن عليهم ابتداءً ، وإنما كان هذا عقوبة لهم لأنهم لم يستجيبوا للحق بعد وضوح أدلته ، كما

....

قال سبحانه : **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** .

والسد الذي ذُكر في هذه الآية هو معنى الأكنة التي ذُكرت في آية الأنعام وغيرها ، كقوله تعالى : **وجعلنا في قلوبهم أكنة أن يفقهوه** والكن والسد ونحوهما : هي الحاجز الذي يحجز بين الشيء والشيء ، والسد يكون في الأعيان ويكون في المعاني ، سد في الأعيان ، يعني بناء أو شيء يكون سد حاجز حسي ، وقد يكون في المعاني ، بمعنى أن يكون سدا معنويا ، فهنا : جعلنا من بين أيديهم سدا يعني حاجزا ، وهذا الحاجز ليس بحاجز حسي ، ولكنه حاجز يمنع نفوذ سماع الاستجابة إلى قلوبهم . **ومن خلفهم سدا** كذلك .

وقال سبحانه بعدها : **فأغشيناهم** أيضا مع وجود هذين السدين من أمامهم ، ومن خلفهم ، قال : **فأغشيناهم** ، وأغشيناهم من الغِشاوة ، وهذا كما قال في آية البقرة : **وعلى أبصارهم غشاوة** ، والغشاوة هي ما يحجز بين العين والنظر ، بحيث ترى الأشياء مشتبه عليها ، في عينه غشاوة : بمعنى في عينه شيء يمنعه من رؤية الأشياء على ما هي عليه .

 فأغشيناهم فهم فهم بسب ذلك الذي قدر من بين أيديهم سد ، ومن خلفهم سد ، وبسبب هذه الغشاوة التي بأعينهم فهم

لا يبصرون يبصرون ماذا ؟ هم لا يبصرون الحق ، لا يبصرون دلائل النبوة ، مع وضوحها وظهورها وبيانها .
قال هنا : (أن ابن عباس كان يقرأها **فأعشيناهم**)
وأعشيناهم من عشيا ، وهذا بمعنى عدم إبصار الشيء في وقت الظلمة ، العشا هذا مرض يصيب العين ، ومنه سمي الأعشى أعشى ؛ لأنه لا يبصر الأشياء ، وليس هو كالغشاوة ، ولكنها الغشاوة دائمة ، والعشا في بعض الأحوال ، معنى ذلك أنه إذا التبست الأمور ، وكانوا أحوج ما يكونون إلى البصر على القراءة الأخرى فإنهم لا تنفعهم

....

أبصارهم ، ولا يرون الأشياء ، ويعنى بالأشياء التي لا يرونها ، ولا يبصرونها ، الأشياء التي يكون فيها حجة عليهم ، وفيها فتح باب للإيمان ، مثل دلائل النبوة ، وأنواع الحجج مثل القرآن ونحو ذلك ، فهم يسمعونه وهذا السمع لا يجاوز آذانهم . وأما القلوب فإنه لا يصل إليها .
كذلك يرون الحوادث التي تحصل وآيات النبي ولا يجاوز أبصارهم ، لا ينفذ ذلك إلى قلوبهم ، وهذا معنى نفي السمع عنهم في القرآن كما في قوله : **وكانوا لا يستطيعون سمعا** يعني سمع الاستجابة ، وكذلك نفي البصر عنهم هنا كقوله :
 فهم لا يبصرون يعني البصر الذي ينتفع به صاحبه في رؤية الدلائل والحجج ، رؤية الانتفاع ، أما رؤية الأجرام ، رؤية الأشياء ، هذه ليست هي المقصودة ، إنما إبصار الانتفاع وسماع الانتفاع .

وقال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال : قال أبو جهل وهم جلوس إن محمدا يزعم أنكم إن تبعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها ، وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرها على رءوسهم ويقرأ : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون [1] ﴾ وانطلق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال : ما لكم . قالوا ننتظر محمدا ، قال قد خرج عليكم فما بقي منكم رجل إلا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته .

الشرح :

(1) على هذا يعني أن يكون المراد من قوله : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ يكون السد حسي حيث لم يبصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذا يُخص بحادث الهجرة والأظهر أن الآية عامة لهم من جهة القدر وعدم الاستجابة للحق ؛ لأن السياق واللحاق والسباق يدل على ذلك .

فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب . قال : وقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله

وسلم قول أبي جهل ، فقال : ((وأنا أقول ذلك إن لهم مني لذبحا وإني لآخذهم)) [1]
وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون [2] ﴾ أي فقد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به ، وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة ، وكما قال تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ، ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر ﴾ أي إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم .

الشرح :

(1) (لآخذهم) في نسخ أخرى (لأحدهم) يعني أبا جهل ، إذاً نقول في نسخة (أحدهم) ، ونسخة أخرى ، وطبعة الشعب جيدة فيها تصحيح . (وإني أحدهم) ، (وإني لآخذهم) كلها صحيح . آخذهم وأحدهم صحيح . بس هنا يُراجع سيرة ابن إسحاق ، أقول تُراجع سيرة ابن هشام يُطبق النقل ويُنظر ما فيه ، أو سيرة ابن كثير إذا كان نقل فيها هذا النقل يكون تحرير أكثر .

(2) هنا في قوله : ﴿ **وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ هذا مثل ما ذكرت سابقاً ، هذا لأن الله جل وعلا علم أنهم لا يؤمنون ، ويُعنى بذلك من كان رافضاً للحق غير سامع له ، غير حريص عليه ، مثل ما قال في آية الأنبياء، قال : ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وسواء عليهم** ﴾ يعني يستوي ، سواء : بمعنى يستوي هذا وهذا ، وسواء أتت في القرآن على عدة معاني منها : أن هذا يستوي مع هذا ، ومنها أن يكون الوسط ، الوسط يُقال له

....

سواء ، سواء الطريق : يعني وسط الطريق ، سواء السبيل : يعني وسط السبيل أو السبيل المستوية . وتأتي سواء بمعنى العدل والنصفة ، كما في قوله :
 تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، **كلمة سواء** بمعنى كلمة عدل ونصفة بيننا وبينكم . فإذاً سواء لها في القرآن عدة استعمالات .
قوله : **سواء عليهم** يعني مستوٍ هذا وهذا ، **ءأنذرتهم أم لم تنذرهم** وهذا الاستواء لا يعني أنه لا يجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينذرهم ، ولكن هذا من جهة عدم استجابتهم للإنذار ، يعني إذا أنذرتهم أم لم تنذرهم فالعاقبة أنهم لا يؤمنون ، لكن الإنذار على النبي صلى الله عليه وسلم واجب على الجميع ، ودل على هذا الآية التي بعدها حيث خص الإنذار بمن انتفع به ، فقال : **إنما** وإنما من أدوات الحصر ، **إنما تنذر من اتبع الذكر** يعني الإنذار منك إنما يقع على سبيل القصر والحصر على من اتبع الذكر ، يعني من اتبع القرآن واتبعك يا محمد وكان من صفته أنه يخشى الرحمن بالغيب ، فهذا بشره بمغفرة وأجر كريم ، والإنذار هو الإعلام بالشر والتخويف منه ويكون بعد الإعلام والتخويف مدة يمكن توقي الشر فيها ، بخلاف الإعلام المجرد فإنه لا يكون مخصوصاً بالتخويف ، وأما الإشعار فهو أخص درجة من الإنذار . والإشعار هو إنذار بعده مدة وجيزة قد يمكنه معها التصحيح وقد لا يمكنه .
فإذاً هاهنا ثلاث مراتب :
مرتبة الإعلام وهذه عامة ، ومرتبة الإنذار وهي التخويف ويكون بعدها مدة يمكنه معها أن يصحح ، والإشعار وهذه أيضاً فيها تخويف وإخبار بما سيحيق بالمخاطب من السوء إذا لم يصحح ويكون بعدها مدة وجيزة قد يمكنه أن يفعل وقد لا يمكنه . قال الشاعر :

أنذرت عمراً وهو في مهلٍ   قبل الصباح فقد عصا عمرو

....

فدل على أن الإنذار يكون بعده مدة يمكنه فيها التصحيح .
قال هنا : **إنما تنذر من اتبع الذكر** في القرآن جاء الإنذار عاماً ، **نذيراً للبشر** عام يعني لكل أحد سواء لمن استجاب أو لم يستجب ، وهذا يُراد بالإنذار إنذار الرسالة ، بمعني تبليغ

العام بعاقبة المشركين ، وعاقبة من اتخذ مع الله جل وعلا إله آخر ، وعاقبة الموحدين . عاقبة المشركين في الدنيا والآخرة وعاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة . هذا يقال له إنذار , وهو خاص من جهة اللغة بالتخويف .

قال : ﴿ **نذيراً للبشر** ﴾ يعني منذر ﴿ **نذير لكم بين يدي عذاب شديد** ﴾ يعني مخوف ومعلم لكم بين يدي عذاب شديد سيقع قريباً .

قال هنا : ﴿ **إنما تنذر من اتبع الذكر** ﴾ وهذا القسم الثاني في القرآن يكون الإنذار يراد به الخصوص ، إنذار للمؤمنين ، فكيف لا يكون إنذاراً للكافرين ؟ قال العلماء : هذا القسم وهو ما يكون فيه تعدية الإنذار للمؤمنين ، هذا باعتبار أنهم هم المنتفعون به ﴿ **إنما تنذر من اتبع الذكر** ﴾ لأن أهل المتبعين الذكر ولأن أهل الذكر : ﴿ **الذين يخشون ربهم بالغيب** ﴾ هم الذين انتفعوا بالإنذار فخصوا بأنهم هم المنذرون لأنهم هم الذين نفع فيهم الإنذار ، وهذا كما قال في آية فاطر : ﴿ **إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه** ﴾ . قال : إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ، هذا إنذار حُصر في المؤمنين ، حُصر في الصالحين ، لما ؟ لأنهم هم الذين استجابوا .

إذًا فقوله هنا : ﴿ **إنما تنذر** ﴾ هذا لا يعارض قوله ﴿ **نذيراً للبشر** ﴾ قوله ﴿ **نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد** ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي فيها الإنذار عام وذلك لاختلاف الاعتبار . فالإنذار العام له اعتبار والإنذار الخاص باعتبار أنهم هم الذين استجابوا للإنذار واهتموا به ورفعوا به الرأس وجعلوه في قلوبهم .

﴿ وخشي الرحمن بالغيب [1] ﴾ أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل ﴿ فبشره بمغفرة ﴾ أي لذنوبه . ﴿ وأجر كريم ﴾ أي كثير واسع حسن جميل ، كما قال تبارك وتعالى :

﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ﴾

ثم قال عز وجل : ﴿ إنا نحن نحي الموتى ﴾ أي يوم القيامة ، وفيه

= قال : ﴿ **إنما تنذر من اتبع الذكر** ﴾ ، والذكر هو المراد به هنا القرآن ، كما قال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر** ﴾ يعني القرآن ، وقال : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ ، نزلنا إليك الذكر : يعني القرآن وذلك لأنه يحصل به أنواع من الذكر :

أولاً تذكر حق الله جل وعلا ، أيضا فيه تذكر الآخرة وتذكر المصير ، وفيه أيضاً ذكر لمن حمله ، فمن حمل القرآن يحصل له به الذكر في الأولين والآخرين ، كما قال تعالى : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون** ﴾ وقال جل وعلا في آية الأنبياء : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم** ﴾ لو أخذوا به لكان فيه ذكر من أخذ به . وهذا الذي حصل بالفعل فإن القرآن فيه تذكير بحق الله جل وعلا وفيه ذكر لما سبق من أحوال الأنبياء ، وفيه ذكر لما سيأتي من أحوال البعث والنشور ، وفيه ذكر لمن حمله ، من حمله أصبح مذكوراً . الصحابة الذين حملوه كانوا عرباً ليس لهم شأن في الأرض ذلك الحين ، لما حملوا القرآن رفعهم الله جل وعلا بالقرآن ، كما رفع نبيهم صلى الله عليه وسلم أعلى الرفع بهذا القرآن ، كما قال : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك ولسوف تُسألون** ﴾ وقال : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ .

(1) قال هنا : ﴿ **إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب** ﴾ خشي الرحمن بالغيب : يعني مقام المراقبة وهو مقام الإحسان ، خشي الرحمن بالغيب : يعني خاف الله جل وعلا إذ لم يكن بينه وبين الله جل وعلا أحد ، أو لم يكن معه أحد = ...

= مطلع عليه إلا أنه تذكر اطلاع الله عليه فخشي وخاف وانكف عن معصيته .

قال هنا : ﴿ **فبشره بمغفرة وأجر كريم** ﴾ المغفرة : ستر الذنوب ، المغفرة : الستر ، من الغفر وهو الستر ، غفر الشيء يغفره غفراً إذا ستره ، ومنه سمي المغفر على الرأس مغفرا لأنه يستر الرأس من وقع السيوف أثناء الحرب ، أو وقع الأذى في أثناء الوقعة . غفر الله الذنب : يعني ستر أثره ، ستره فلا يُظهره ولا يكشفه ، والمغفرة غير التوبة ، والله جل وعلا غفور وتواب ، فالمغفرة باعتبار الذنوب الماضية ، والتوبة باعتبار الذنوب الماضية

لكن من جهة أنها لا يُعاقب بها ، غفرها بمعنى سترها ، تاب بمعنى ، تاب الله عليه بمعنى لم يؤاخذه على ما عمل ومحاها . والستر لا يعني المحو .
هنا **فبشره بمغفرة وأجر كريم** المغفرة هناك تلازم بينها وبين المحو ، يعني الله جل وعلا إذا غفر لأحد ستر ذنبه ويلزم من ذلك لكرم الله جل وعلا أنه يمحو الذنب ، فإذاً دلالة صفة أن الله جل وعلا يتوب على العباد بمعنى يمحو أثر الذنوب لازمة عن المغفرة وليست في معنى الغفر لغة ، يلزم منها لأن الله جل وعلا إذا غفر بمعنى ستر الذنب يلزم منه أنه يمحو أثره على صاحبه .
وعلى هذا يكون معنى هذه الآية **فبشره بمغفرة** يعني بستر للذنوب ومحو لأثرها ، بشره بمغفرة : يعني بستر للذنوب ومحو لأثرها .
 وأجر كريم الأجر هو ما يُعطى مقابلة العمل . وَوُصِفَ الأجر بأنه كريم ذلك لأن الكريم في لغة العرب هو الذي يفوق جنسه في أوصاف الكمال اللائقة به . كلمة كريم هي اسم لمن فاق جنسه في صفات الكمال في لغة العرب . فالأجر أجر كريم بمعنى إذا تصورت الأجور فإن الأجر الذي يعطيه الله جل وعلا أولئك فاق جنس الأجور في صفات الكمال .

....

أيضاً سمى الله جل وعلا النبات كريماً ، قال : **وأنبتت من كل زوج كريم** يعني الذي فاق جنس ما يخرج من الأرض في صفاته . والرجل يقال له كريم إذا فاق غيره في الصفات وذلك لأن السخاء مما يفتخر به العرب . ثم غلب هذا المعنى الأخير حتى صار الكرم خاصاً بالسخاء ، والأصل أن الكرم هو أن يفوق من وصف به غيره مما هو من جنسه في الصفات .
إذاً هنا **فبشره بمغفرة وأجر كريم** يفهم منها العربي أن هذا الأجر أعلى ما يكون وأفضل ما يكون الذي يفوق جنس الأجور ، فإذا تصور أن له حقاً في الأجر ، يتصوره ما هو الحق أن يُعطى نعيم معين ، فهذا الذي سيعطيه الله جل وعلا أكبر مما يتصور لأنه أجر كريم يفوق جنس الأجور في صفاته . ولا شك فإن من أعطي الجنة فإنه أعطي أعظم الأجر الكريم . نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أهلها .

ثم قال عز وجل : ﴿ إنا نحن نحي الموتى ﴾ أي يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب : ﴿ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون [1] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ونكتب ما قدموا ﴾ أي من الأعمال ، وفي قوله تعالى : ﴿ وآثارهم ﴾ قولان [أحدهما] نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بعدهم ، فنجزيهم على ذلك أيضا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا)) رواه مسلم من رواية شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

الشرح :

(1) يعني في آية الحديد : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها** ﴾ .

القلب القاسي مشبه بالأرض الميتة . قال تعالى : ﴿ **اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها** ﴾ يعني يحيي القلوب بعد موتها كما يحيي الأرض بعد موتها ، وهذا لا شك فيه حث على الإقبال على ما به حياة القلوب وهو هذا القرآن .

وفيه قصة مجتابي النمار [1] المضريين . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى ابن سليمان الجعفي عن أبي المحياة يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ، فذكر الحديث بطوله ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ . وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره .

وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده)) .

وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : سمعت مجاهدا يقول في قوله تعالى ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ قال : ما أورثوا من الضلالة . وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ يعني ما أثروا ، يقول ما سنوا من سنة فعمل بها قوم

من بعد موتهم فإن كانت خيرا فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل بها شيئا وإن

الشرح :

(1) (مجتابي النمار) يعني من عليهم نمار مخرقة ، الاجتياب : يعني إيش ؟ اجتاب الشيء يعني خرقه ، هذا معناه . الجيب هنا سميت جيب لأنها مخروقة في الثوب ، ﴿ **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** ﴾ يعني خرقوا الصخر بالواد .

كانت شرا فعليهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا . ذكرهما ابن أبي حاتم ، وهذا القول هو اختيار البغوي .

[والقول الثاني] أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية قال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد : ﴿ ما قدموا ﴾ : أعمالهم ، ﴿ وآثارهم ﴾ قال : خطاهم بأرجلهم . وكذا قال الحسن وقتادة :

﴿ وآثارهم ﴾ يعني خطاهم . وقال قتادة : لو كان الله عز وجل مغفلا شيئا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار ولكن أحصي على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصي هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل .

الشرح :

قوله هنا : ﴿ **إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ . إنا نحن نحيي الموتى : بعد أن ذكر أن أولئك سواء عليهم ءأنذرتهم أم لتنذرهم لا يؤمنون . لا يعني أنهم لم تكتب لهم حياة قلب لو أقبلوا وسمعوا سمع استجابة وأنصتوا ورأوا وأقبلوا ، وهذا من حيث

الأصل ، فإن الله جل وعلا يحيي القلوب الميتة بذكره إذا أقبلت عليه .
قال : **إنا نحن نحيي الموتى** وهذا بعض المعنى ـ مثل ما ذكر ابن كثير ـ وقد يكون ـ وهذا هو الأظهر والثاني ـ أن إحياء الموتى المراد به الإحياء الحقيقي **إنا نحن نحيي الموتى** يعني ليس المراد به ضرب المثل للمشركين بل المراد به إخبار الله جل وعلا أنه يخرج الموتى بعد موتهم أحياءً ، وهذا أنسب لأن ما قبلها فيه ذكر أجر المتقين ، قال : **إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب**

....

فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني أن ما عملوه من الأعمال أنهم لهم حياة سيرجعون إليها وسيبعثون من قبورهم وسيحيون وقد كُتب لهم ما عملوه من الصالحات .
قال : **إنا نحن نحيي الموتى ونكتب** والذي يكتب هو ملائكة الرحمن الموكلة بالعبد ، على كل عبد ملائكة **عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** .... الله جل وعلا بأمره للملائكة ، فالذين يباشرون الكتابة هم الملائكة والآمر هو الله جل وعلا .
قال شيخ الإسلام : إنه كثيرا ما يكون في القرآن إذا ذكر الله جل وعلا عن نفسه فعلا بنون الجمع ، أو جعل في آخره نا الفاعلين أنه يعنى به الله جل وعلا وملائكته ، يُعنى مع الملائكة ، كما في قوله هنا : **نكتب ما قدموا وآثارهم** وكما في قوله : **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ونحو ذلك . هذا اختيار شيخ الإسلام رحمه الله ، في مثل هذه الآيات ، في التفسير .
قوله : **نكتب ما قدموا** ما قدموا : يعني ما فعلوه من الأعمال الصالحة ،
 ونكتب آثارهم والآثار : جمع أثر ، والأثر اختلف فيه على قولين : هل هو الأثر الذي يكون بعد مماتهم أو الذي يكون في حياتهم ؟ فمنهم من نظر إلى الأول وذلك لمناسبة ذكر إحياء الموتى، قال : **إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا** فهذا ما عملوه في حياتهم . قال : **ونكتب آثارهم** أنهم ما

عملوه أو ما يكون لهم من العمل بعد وفاتهم ، ما قدموا في حياتهم وآثارهم بعد وفاتهم ، وهذا أحد القولين المشهورين عن السلف ، وهذا القول ظاهر ؛ لأنه بالسياق أنسب ، ويكون القول الثاني الذي هو ما عملوه في حياتهم من آثار خطاهم للمساجد ونحو ذلك هذا داخل في قوله **إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا** .

....

إذاً في قوله **آثارهم** قولان : الأول ما آثروه بعد مماتهم ، مثل حديث : ((من دعا إلي هدى كان له من الأجور مثل أجر من اتبعه ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأوزار مثل أوزار من اتبعه)) ومثل حديث جرير الذي ذكره وغيرها . يعني أنه بعد الممات ينجر له عمل ، ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)) فهذا التفسير الأول .
التفسير الثاني : أن الآثار يراد بها آثار الخطى إلى المساجد ، وهذا لأجل ما ورد في الحديث الصحيح ، أنه عليه الصلاة والسلام لما أراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى جوار المسجد قال : ((يا بني سلمة دياركم دياركم تكتب آثاركم)) تكتب آثاركم هنا يعني الزموا دياركم تكتب آثاركم ، يعني يكتب الله آثاركم .
والقول الأول أوجه ، وذلك لدخول القول الثاني في قوله : **نكتب ما قدموا** .

وقد وردت في هذه المعنى أحاديث :

[الحديث الأول] قال الإمام : أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : ((إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد)) قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : ((يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم)) . وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهمس بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضي الله تعالى عنه به .
[الحديث الثاني] قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن الوزير الواسطي حدثنا إسحاق الأزرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد ، فنزلت
 إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن آثاركم تكتب)) فلم ينتقلوا . تفرد بإخراجه الترمذي عند تفسيره هذه الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ، ثم قال : حسن غريب من حديث الثوري .
ورواه ابن جرير عن سليمان عن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن طريف وهو ابن شهاب أبو سفيان السعدي عن أبي نضرة به .

وقد روي من غير طريق الثوري ، فقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمرو حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فأقاموا في مكانهم . وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية ، والسورة بكاملها مكية فالله أعلم .

[الحديث الثالث] قال ابن جرير : حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فقالوا : نثبت مكاننا . هكذا رواه وليس فيه شيء مرفوع .

ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يونس الفريابي عن إسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ فثبتوا في منازلهم .

[الحديث الرابع] قال الإمام أحمد : حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبد الله عن أبي

عبد الرحمن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ((يا ليته مات في غير مولده)) فقال رجل من الناس : ولم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة)) رواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى ، وابن ماجة عن حرملة ، كلاهما عن ابن وهب عن حيي بن عبد الله به .
وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا أبو نميلة حدثنا الحسين عن ثابت قال : مشيت مع أنس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ يدي فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس : مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي ، فقال : يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب .
وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى والله أعلم .
وقوله تعالى : وكل شيء أحصيناه في إمام مبين أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ ، والإمام المبين هاهنا هو أم الكتاب ، قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وكذا في قوله تعالى : يوم ندعو كل أناس بإمامهم أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر .

كما قال عز وجل : ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ، وقال تعالى : ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا .

الشرح :

نكتفي بهذا القدر ونعيد الكلمة الأخيرة إن شاء الله ، في المرة القادمة نعيدها إن شاء الله ، ونقرا في أصول التفسير إن شاء الله .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .